صدق المشاعر ومثاليات حاكم

كتب - إبراهيم البدراني:

بعد أن ضاقت بها الأرض بما رحبت، جاءت بستر وعلى استحياء واقفة برفقة والدها أمام قصر خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، يدفعها أمل كبير بالفرَج لِما عرفته عنه يحفظه الله من عطف وكريم فضل، وشعورها بحنو والد وإنصاف قائد، وطلبت مقابلته يحفظه الله، وما أن علم بذلك حتى طلب من المسئولين نقل معاناتها وأصرّت على عدم ذكر اسمها حتى يطّلع يحفظه الله على رسالتها وهي قصيدة بعنوان «أبا الكل»:

إلى «أبـا الكـل» مقام والد الجميع خادم الحرمين الشريفين حفظه الله ورعاه

إلى مَن حَبَاهُ الله بالصدقِ والصبرِ ... وصيّرهُ في قِمَةِ العِزّ كالبَدرِ
إلى خَادمِ البيتين أكتبُ من ضَنى ... بُليتُ بهِ في زهرةِ العَيشِ والعُمرِ
أنا باختِصَارٍ زَوجَةٌ خابَ ظَنُّها ... بِزوجٍ أراها النّجمُ في ساعة الظهرِ
تطلقتُ منهُ بعد طُولِ تحَسُّرٍ ... وفوق الذي عانيتُ طُولبتُ بالمهرِ
فيا ناصراً بالله مَن جاء شاكياً ... ويا شافياً بالله مِن ضِيقةِ الصدرِ
دعاني لَكُم جودُ سَمِعتُ بهِ لكم ... وللفضلِ والإحسان داعيةٌ يُغري
سألتُك بالله الذي أنتَ عَبدهُ ... ومَن هو ولاّكُم مقاليدَ ذا الأمرِ
ومَن هو أغناكُم عَن النَّاسِ كُلّهم ... بما هو أعطَاكُم مِنَ الجاهِ والقَدرِ
بأن لا تدعني في ظُروفٍ وحيدةً ... وأنتَ أباً للكُلّ في العُسرِ واليُسرِ
فوالله لولا إنّ فِيكَ مكارمُ ... وأنّك بَين النَّاس تُذكَرُ بالخَيرِ
لَما جِئتُ في سِترٍ إليكَ بحاجةٍ ... رَمتني بِها الخُطَى مِن حَيثُ لا أدري

وفور اطلاعه «يحفظه الله» على القصيدة التي شرحت فيها حالها ومعاناتها، من زوج قبلت به لِما تبين من مظهره من الدين والاستقامة، وبعد الزواج ظهر الوجه الآخر السلطوي والفهم غير السوي لحقوق الزوج، وكأنها أداة يمتلكها بلا مشاعر، فمارس معها قسوة أرتها النجوم في عز الظهر كما تقول، فلجأت إلى القضاء الذي أنصفها كما هو حال القضاء في عهد هذا الإمام العادل، وصدر صك بطلاقها منه وإعادة مهره الذي يطالب به مستغلاً حاجتها وعدم قدرتها على دفعه؛ لكونها أنفقته وقت زواجها والصرف على ابنتها، ولصدق هذه المرأة الحرة النبيلة التي وصلت رسالتها فوراً إلى من وقفت ببابه، هذا القائد الشهم الكريم فقد أمر «يحفظه الله» بإعطائها ما تسدد به المهر ومعه مثله لسد حاجتها، حافظاً كرامتها، ومحققاً العدل والإنصاف، وتحقق لها الأمل وعادت حرّة كريمة في بيت والدها الأب الحنون، الذي وفر لها الحماية من الظلم بشجاعة وثقة في الله ثم في ولاة الأمر ولسان حاله يقول:

لِساني عن الأحباب والأهل ناطق ... وقلبِي بالعرفانُ والشكر دَافقُ
إلى من حباه الله فضلاً ونعمةً ... وقد تستوي الأقوامُ لولا الفوارقُ
إلى ملكِ لولا تواضع نفسه ... لَما شاركتهُ في الهمُوم المناطقُ
أقدم أبياتي على ضِعف شأنها ... أمَام كريم طيبُه لا يسابقُ
لكَ الشكرُ بعد الله يا خيَر حاكم ... على ما بَدى منِكم وما هو لاحقُ
غمرتَ فؤادي بالسرور وبالرضَى ... وقد كان منِ قبل الهديّة ضائِقُ
فخذُها من القلَب المُحب تحَية ... وهَذا شعور لستُ فيه أنافقُ
فوالله لولا أن وقتُك دائماً ... معَ الشعبُ مشغول لجِئنا نُعانقُ
على أننا ندعو لكَ الله كُلما ... أتانا مغيب أو تبسم شَارقُ
بأن يُبقيكَ الله العظيم لأمةٍ ... تُحِبك بعد الله والحُب صادقُ